خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٢/٢/١٨م

في مسجد مبارك بإسلام آباد، بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

نعقد في ٢٠ شباط جلسات عن نبوءة المصلح الموعود ونذكرها لأن المسيح الموعود عليه السلام كان قد تنبأ بولادة ابن له بوحي من الله. ردا على اعتراضات أعداء الإسلام، إذ كان أعداء الإسلام يقولون: لا يري الإسلام آيةً، فقال عليه السلام: لقد أخبرني الله تعالى أنه سيُظهر بواسطتي آية عظيمة على صدق الإسلام وهي ولادة ابن لي ينال عمرا طويلا ويخدم الإسلام ويكون حاملا ميزات كذا وكذا، وذكر ٥٢ أو ٥٣ ميزة له، فهذه لم تكن نبوءة عادية. وبعد فترة معينة ولد فيها هذا الابن الموعود ونال عمرا طويلا وخدم الإسلام خدمة غير عادية، وفي كل سنة يُلقى الضوء على جوانب مختلفة لهذه النبوءة في جلسات الجماعة. وفي هذه السنة أيضا ستُعقد جلسات في مختلف فروع الجماعة وكذلك ستبث برامج على ايم تي ايه، ستعرفون التفاصيل من هناك، ولكنني في هذا الوقت سأسرد عليكم بعض النصوص بكلمات المصلح الموعود رضي الله عنه، كيف كانت حياته في الصغر وصحته وكيف كانت معاملة الله معه.

كانت النبوءة أن ذلك الولد سينال عمرا طويلا ويمكنكم أن تقدّروا الحالة الصحية لهذا الولد الذي كان سينال عمرا طويلا. قال المصلح الموعود رضي الله عنه بنفسه: كانت صحتي في الصغر ضعيفة للغاية، أولا أُصبت بسعال ديكي ثم تدهورت صحتي لدرجة كنت بين الحياة والموت عندما بلغت الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمري، وكان يُحسَب عموما أن عمري لن يطول كثيرا، وفي تلك الأثناء بدأت عيوني تؤلمني حتى ضاعت إحدي عيني تقريبا، فلا أستطيع أن أرى منها إلا قليلا، والآن أيضا أرى قليلا جدا. ثم حين كبرت بعض الشيء أُصبت بالحمى ستة أو سبعة أشهر متتالية وقيل إنني مريض بالسل والدق وبسبب هذه الأمراض ما كنت أستطيع أن أدرس بانتظام وما كنت أذهب إلى المدرسة. كان الأستاذ فقير الله المحترم من لاهور الذي مترله في مسلم تاون بلاهور يعلمنا الحساب (كان حضرته حينها يلقي المحاضرة في لاهور، فقال) ذات يوم اشتكاني عند حضرته عليه السلام قائلا: إنه لا يدرس شيئا، وأحيانا يأتي

إلى المدرسة وفي أكثر الأحيان يغيب عنها. قال المصلح الموعود ﷺ: فخشيتُ أن يعاتبني المسيح الموعود عليه السلام لكنه قال: يا أستاذ، إن صحته ضعيفة ونشكر الله تعالى أنه أحيانا يذهب إلى المدرسة، ويسمع شيئا، أرجو ألا تضغط عليه كثيرا. قال المصلح الموعود ﷺ: بل أتذكر أن المسيح الموعود عليه السلام قال أيضا ماذا نستفيد من تعليمه الحساب، هل نفتح له بقالةً.

هذه كانت حالته الصحية وحالة التزامه بالمدرسة. من يستطيع أن يضمن في هذه الحالة أنه سينال عمرا طويلا؟ وليس هذا فقط بل كانت النبوءة أنه سيُملؤ بالعلوم الظاهرية والباطنية، من كان يستطيع أن يدّعي في هذه الحالة أنه سيحرز هذه العلوم. فيقول المصلح الموعود ﷺ: قال المسيح الموعود عليه السلام لو قرأ القرآن والحديث فهذا يكفي له. يقول: باختصار، كانت صحتي ضعيفة لدرجة أنني كنت غير قابل تماما لتحصيل علوم الدنيا، وكان بصري أيضا ضعيفا، وكنت قد رسبتُ في امتحانات المدرسة الابتدائية والثانوية والثانوية العليا، ولم أنجح في أي امتحان ولكن الله تعالى أخبر عني أنني سوف أُملؤ بالعلوم الظاهرية والباطنية، ومع أنني لم أقرأ أيّا من علوم الدنيا وقد وفقني الله تعالى لأكتب كتبا علمية عظيمة تتحير الدنيا بقراءتها وتضطر للاعتراف أنه لا يمكن كتابة أكثر من ذلك حول القضايا الإسلامية. قال: لقد كتبتُ مؤخرا جزءا من تفسير القرآن الكريم باسم التفسير الكبير. لقد أقرّ الأعداء الكبار أيضا بعد قراءته بأنه لم يُكتَب أي تفسير مثله إلى اليوم. ثم إنني آتي لاهور دوما ويعلم أهلها أن دكاترة الكليات يأتون للقائي والطلاب والأطباء والمحامون المشهورون ولكن لم يحدث إلى اليوم حتى مرة واحدة أن عالما كبيرا اعترض أمامي على الإسلام والقرآن وأنا لم أرد عليه ولم أفحمه من خلال تعليم الإسلام والقرآن، ولم يعترف بأنه لا يمكن رفع أي اعتراض حقيقي على الإسلام. إنه لمحض فضل الله الذي يحالفني وإلا لم أتعلم أي علم من حيث العلوم الدنيوية ولكنني لا أستطيع أن أنكر أن الله تعالى علمني من لدنه وأعطاني من لدنه حظا وافرا من العلوم الظاهرية والباطنية.

ثم عن تعبئته بالعلوم الظاهرية والباطنية وعن كيفية تعليم الله تعالى إياه العلومَ، قال: كنتُ لا أزال طفلا إذ رأيت في الرؤيا أن جرسا قد دُقَّ وخرج منه صوت يرتفع شيئا فشيئا حتى تحول إلى إطار للصورة، ثم رأيتُ أن صورة ظهرت في ذلك الإطار وبعد قليل بدأت الصورة تتحرك وقفزت منه وتمثل أمامي كيان وقال: إنني ملاك الله وأتيتُ لأعلمك تفسير القرآن الكريم، فقلتُ: علّمني، فبدأ يعلّمني تفسير سورة الفاتحة وظل يعلمني ويعلمني حتى وصل إلى "إياك نعبد وإياك نستعين" فقال: جميع المفسرين السابقين إلى اليوم قد كتبوا التفسير إلى هذه الآية ولكنني أعلمك تفسير ما بعده أيضا، فعلّمني تفسير سورة الفاتحة كلها. في الحقيقة كان المراد من هذه الرؤيا أنني أُعطيتُ ملكة فهم القرآن، فإنه أودعتْ

فيّ هذه الملَكة لدرجة أنني أدّعي –وجاهز لأثبت هذا الادعاء في أي مجلس شئتم– أنني أستطيع أن أبين جميع العلوم الإسلامية من صورة الفاتحة نفسها. (إنه يلقي خطابا على الملأ ويتحدى العالم ولكن لم يحدث أن أتى أحد مقابله هكذا).

ثم قال: كنتُ صغيرا أَدرس في المدرسة إذ ذهب فريق كرة القدم لمدرستنا من أجل المباراة مع كلية الخالصة السيخية في أمرتسر، وقد فاز فريقنا في المبارة، فبالرغم من المعارضة التي يكنها المسلمون ضد جماعتنا قد دعا رئيس مسلم في أمرتسر فريقنا على الشاي لأن فوز فريقنا أدى إلى تكريم المسلمين من ناحية. وحين ذهبنا هناك طُلب مني أن ألقي خطابا، ما كنتُ محضّرا لذلك الخطاب، وحين طلب مني الخطاب تذكرتُ هذه الرؤيا فورا التي علمني فيها الملاك التفسير. فأولا دعوتُ الله تعالى أن يا رب، كان ملاكك قد علمني تفسير سورة الفاتحة في الرؤيا واليوم أريد أن أمتحن ما إذا كانت هذه الرؤيا منك أم كانت خداعا لنفسي. وإذا كانت هذه الرؤيا منك فعلمني اليوم من سورة الفاتحة نكتة لم يبينها أي مفسر في الدنيا من قبل، وبعد هذا الدعاء فورا ألقى الله تعالى في قلبي نكتة فقلتُ: إن الله تعالى علّم في القرآن الكريم هذا الدعاء ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي يا أيها المسلمون عليكم أن تدعوا في الصلوات الخمس وفي كل ركعة لصلاتكم ألا نصبح المغضوب عليهم ولا الضالين. وقد بيَّن النبي ﷺ نفسه معنى المغضوب عليهم في الأحاديث، فقال حضرته إن المراد من المغضوب اليهودُ والمراد من الضالّين النصارى، فالمراد من غير المغضوب عليهم ألا نكون من اليهود والمراد من ولا الضالين ألا نكون من النصارى، وهذا يتضح أكثر من قول النبي ﷺ أن المسيح سيأتي في هذه الأمة، والذين يكفرون به يصبحون حتما يهوديَّ الصفات، وفي الطرف الآخر قال ﷺ أيضا إنه سيأتي زمن تستفحل فيه فتنة المسيحية بوجه خاص، حيث يتنصر الناس للخبز والعمل والحصول على العزة في المجتمع، أو يتنصرون منخدعين وعدم فهمهم تعليمَ دينهم. لكن الغريب أن سورة الفاتحة نزلت بمكة، وفي ذلك الزمن ما كان النصارى ولا اليهود يكنّون عداوة كبيرة للإسلام، بل كانت المعارضة الشرسة في ذلك الزمن من قبل المشركين، ولم يعلِّمنا الله الدعاء ألا نكون من عبدة الأوثان، بل قد علمنا الدعاء ألا نكون من اليهود والنصارى. ومن هنا يتبين جليا أن الله ﷻ قد تنبأ بهذه السورة أن عبدة الأوثان سيقضى عليهم، ولن يبقى لهم أثر، فلم تكن هناك حاجة لتعليم المسلمين هذا الدعاء، أما اليهود والنصارى فكلاهما سيبقيان، وسيكون لزاما عليكم أن تداوموا على الدعاء لاتقاء فتنتهم.

بعد الخطاب لقيني كبار الزعماء وقالوا لي لقد قرأتَ القرآن جيدا، فقد سمعنا هذه النقطة أول مرة في حياتنا. فهذا أمر واقع أن اقرأوا التفاسير كلها، لن تجدوا أي مفسر تكلم عن هذه النقطة. وكان عمري

يومذاك عشرين سنة تقريبا، حين كشف الله علي هذه النقطة. باختصار قد علَّمني الله القرآن الكريم بواسطة ملاكه، وهو قد خلق في نفسي كفاءة، كأنها مفتاح للكنز، فقد وجدت مفتاحا لعلوم القرآن الكريم، وليس في العالَـــم عالِـــمٌ يقابلني وأعجزُ عن إثبات أفضلية القرآن له. فهذه مدينة لاهور، وهنا جامعة، (كان حضرته يلقي الخطاب في لاهور) وهنا كليات كثيرة، ويعيش هنا كبار المختصين بشتى العلوم، أقول لهم جميعا إنه إذا جاء أمامي مختص في أحد العلوم المادية أو بروفيسور أو عالم واعترض على القرآن الكريم بعلومه فسوف أرد عليه بفضل من الله ردًّا يُقر العالَـــم بأن الاعتراض قد دُحض به. وأنني أعلن هنا أني سوف أرد عليه بكلام الله، وأُثبت له من خلال آيات القرآن الكريم حصرا أن اعتراضه قد تم تفنيده.

فكان عمر حضرته كما بين بنفسه عشرين سنة، وكان إيمانه بالله قد كَمُل. وفي أي سن اكتمل هذا الإيمان فعن ذلك قال سيدنا المصلح الموعود نفسه إن الله ﷻ كان يُعدُّه من الطفولة ليكون مصلحا موعودا، فقد قال: كان عام ١٩٠٠ سببا لالتفات قلبي إلى أحكام الإسلام، وكان عمري يومذاك أحد عشر عاما، إذ أحضر أحدهم لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام قميصا من قماش "جهينت"، فأخذتُه من حضرته، وليس لأي سبب آخر بل لأنه أعجبني بلونه ونقوشه، ولم أكن أستطيع لألبسه، لأن قياسه كان كبيرا جدا علي. فحين بلغتُ من العمر أحد عشر عاما ودخل العالَـــم في عام ألف وتسع مائة الميلادي، خطر ببالي تساؤل لماذا أؤمن بالله؟ وما الذي يُثبت وجوده، فذات مساء فكرت في هذه المسألة طويلا حتى أيقن قلبي في الساعة العاشرة أو الحادية عشرة أن هناك إلهًا. فكم كانت تلك الساعة جالبة السعادة لي، وكم كان الوقت مفرحا، حيث كنت فرحًا فرحة الطفل بفوزه بأمه أني قد وجدت خالقي. (من الملاحظ أن هذا كان تفكيره يوم كان عمره أحد عشر عاما. حيث تبدل الإيمان السماعي بالإيمان العلمي، أي كان يؤمن قبل ذلك بما سمع والآن آمن بتفكيره علما. على كل حال يقول حضرته:) إن فرحتي لم تكن لها حدود. فدعوت الله ﷻ في تلك الساعة وداومت على هذا الدعاء لمدة أن يا إلهي اجعلني لا أشك أبدا في وجودك، وكان عمري يومذاك أحد عشر عاما، واليوم قد بلغت من العمر خمسة وثلاثين عاما، وما زلت أُجِلُّ هذا الدعاء، وأقول اليوم أيضا يا إلهي لا تجعلني أشك في وجودك أبدا، إلا أنني كنت في ذلك اليوم طفلا والآن قد حصلت لي التجربة أكثر، لذا قد أضفت إليه وأقول يا إلهي ارزقني حق اليقين بوجودك. باختصار يقول حضرته قد تطرقتُ إلى أمور أخرى، وكنت أكتب أني استلمت قميصا من سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، وحين بدأت الأفكار المذكورة آنفا تنشأ في قلبي، توضأت ذات يوم وقت الضحى أو الإشراق، ولبست ذلك القميص ليس لأنه جميل بل لأنه مبارك

لكونه قميص المسيح الموعود عليه السلام، فكان أول شعور في قلبي بكون المبعوث من الله مقدسا، ثم غلَّقت الباب وصليت النوافل باكيا متضرعا جدا.

وفي موضع آخر بيَّن حضرته هذا التفصيل وقال كيف حصلتْ لي معرفة الله يوم كان عمري أحد عشر عاما: كان عمري أحد عشر عاما إذ وفَّقني الله بفضله لأن أستبدل عقيدتي بالإيمان. فذات مساء كنت واقفا في بيتي بعد المغرب، إذ خطر ببالي تساؤل هل إنني أحمدي لأن مؤسس الجماعة الأحمدية والدي، أو لأن الأحمدية صادقة، وأن هذه الجماعة قد أقامها الله ﷻ؟ وبعد نشوء هذه الفكرة قررت أني سأخرج من هنا بعد التدبر في هذا الأمر، وأنني إذا تبين لي أن الأحمدية ليست على حق فلن أدخل غرفتي بل سأخرج من البيت من فناء البيت هذا. هذا كان تفكير طفل عمره أحد عشر عاما. يقول حضرته لقد بدأتُ أتفكر بعد هذا القرار وبالطبع ظهرتْ أمامي بعض الأدلة فناقشتُها، حيث كنت أقدم دليلا ثم أدحضه، ثم أذكر دليلا آخر ثم أدحضه ثم قدمت دليلا ثالثا ففندته حتى خطر ببالي سؤال هل كان محمد ﷺ رسولا صادقا من الله، وهل أؤمن به لأن والديَّ يؤمنان بأنه صادق، أم أؤمن به بناء على ما تبين لي صدقُه من خلال الأدلة أنه رسول صادق. فحين ظهر أمامي هذا السؤال قلت في نفسي الآن سوف أتخذ القرار في هذا المجال أيضا. بعد ذلك نشأ في قلبي بالطبع سؤال عن الله ﷻ أيضا، فقلت في نفسي أن هذا السؤال أيضا لا بد من حلِّه، هل أؤمن بالله بمجرد المعتقد، أم قد انكشف علي حقا أن لهذه الدنيا إلها، فبدأت أفكر في ذلك، وقال لي قلبي إنه إذا كان هناك إلهٌ فمحمد ﷺ رسول صادق، وإذا كان محمد ﷺ رسولا صادقا فالمسيح الموعود عليه السلام أيضا صادق، وإذا كان المسيح الموعود عليه السلام صادقا فمن المؤكد أن الأحمدية أيضا على حق، أما إذا لم يكن لهذه الدنيا أي إله فلا واحد من هذين أيضا صادق. باختصار قد قررت أن أحل هذا السؤال اليوم حتما، وإذا توصل قلبي إلى أنه ليس هناك إله فلن أقيم في بيتي، بل سأتركه فورا. ثم بدأتُ أفكر في ذلك، وفكرت طويلا، ولم أجد جوابا مقنعا نظرا لصغر سني، ومع ذلك ظللت أفكر حتى تعب دماغي. عندها نظرتُ إلى السماء وكان الجو صافيا.

(كان الله تعالى يريد أن يعلمه على هذا النحو الآن). كانت السماء صافية جدا، وكانت النجوم متلألئة في السماء بكل جمالها وبهائها، وليس هناك مشهد هو أدعى من هذا لجلب الفرحة والسكينة لعقل مرهق؟ كنت مرهقًا فظللت أستمتع بمشهد النجوم المتلألئة في السماء. بدأت أنظر إلى هذه النجوم حتى صرت تائها في مشهدها. ولما انتعش عقلي ثانية بعد قليل قلت في نفسي ما أجمل هذه النجوم، ولكن

ماذا عسى أن يكون بعدها أيْ وراءها؟ فأجاب عقلي: ستكون وراءها نجوم أخرى. ثم تساءلت: فماذا يكون وراءها؟ فأجاب قلبي: نجوم أخرى.

فقلت: حسنا، فماذا وراء تلك أيضا؟ فأجاب أيضا قلبي وعقلي: نجوم أخرى. فقال قلبي: كيف يمكن أن تكون وراء النجوم نجوم أخرى، ثم نجوم أخرى ثم نجوم أخرى وهلم جرا؟ ألا تنتهي سلسلة النجوم هذه عند حد؟ وإذا انتهت فماذا يكون بعدها أيضا؟ وهذا هو السؤال الذي يحير معظم الناس عن الله تعالى حيث يقولون: ما معنى قولنا إن الله غير محدود؟ وما معنى قولنا إن الله أبدي؟ إذ لا بد أن يكون هناك حد ونهاية. وهذا السؤال نفسه راودني عن النجوم وقلت يجب أن تكون لهذه النجوم نهاية، وإذا كانت لها نهاية فماذا وراءها؟ وإذا لم تكن لها نهاية فما هذا التسلسل الذي لا حد لها ولا نهاية. وعندما بلغ تفكيري إلى هذا الحد قلت إن السؤال عن كون الله محدودا أم غير محدود سؤال عبث تماما. فدعْك عن الله تعالى، ماذا تقول عن هذه النجوم المتناثرة أمام عيني؟ إذا قلنا إنها محدودة، فإن المحدود هو ما يكون وراءه شيء آخر. فالسؤال هو إذا كانت النجوم محدودة فماذا يكون وراءها؟ وإذا قلنا إنها غير محدودة، فالسؤال: إذا كان الإنسان يمكن أن يقرّ بكون النجوم غير محدودة فكيف لا يقرّ بكون الله تعالى غير محدود؟ فلم يلبث قلبي أن قال: نعمْ، إن الله لموجود، لأنه قد جعل على النواميس الطبيعية نفس الاعتراض الذي يقع على ذاته تعالى أيضا، وهكذا بين لنا أنكم إذا كنتم تعترضون على وجودي لكوني غير مرئي، فما هو جوابكم عن الأشياء المرئية مع أن الاعتراض نفسه الذي تثيرونه علي يقع عليها أيضا. والحق أنه ليس عندكم أي جواب عن هذا. تقولون ببساطة عن الله تعالى أننا لا نستوعب كونه تعالى غير محدود.

وقال حضرته ﷺ في مناسبة أخرى: ما دام وجود الله تعالى قد ثبت لي بهذا الدليل، فقد ثبت لي أيضا صدق النبي ﷺ، وأيضا انكشف لي صدق المسيح الموعود عليه السلام.

باختصار، إن هذا أيضا دليل على كيف أن الله تعالى جعل حضرة المصلح الموعود ﷺ مليئا بالعلوم. لقد ألقى الله تعالى هذه الأسئلة في قلب طفل لم يكن له من الدراسة إلا نصيب ضئيل جدا، ثم هداه إلى الحق والصواب أيضا.

أما كيف كان حضرة الخليفة الأول يفكر عن حضرة المصلح الموعود رضي الله عنهما، فقد ذكر حضرة الخليفة الأول هذا الأمر بنفسه مما يكشف أنه كان يرى أن هذا الطفل سيكون هو المصلح الموعود. يذكر حضرة المصلح الموعود ﷺ بهذا الصدد حادثين ويقول: قبل مدة حين بدأت إصدار مجلة "تشحيذ الأذهان" بالتعاون مع عدد من الأصدقاء، كتبت مقالا كمقدمة تعريفية لهذه المجلة وبينت فيه أهداف

المجلة وغاياتها، وعندما نشر هذا المقال أشاد به حضرة الخليفة الأول ﵁ أمام المسيح الموعود -عليه السلام- أيما إشادة، وقال له: إن هذا المقال لجدير بأن تقرأه حتما. فأمر حضرة المسيح الموعود ﵇ بإحضار المجلة وهو في المسجد المبارك، وطلب من المولوي محمد علي -غالبا- أن يقرأ عليه المقال، فقرأ فسمعه المسيح الموعود عليه السلام وأثنى عليه. لكنني حين قابلتُ الخليفةَ الأول ﵁ لاحقا قال لي: ميان، إن مقالك جيد جدا، ثم أردف قائلاً: في بلدنا مثل شهير: "إن الجمل ب٤٠ وابنه بـــ ٤٢"، (أي أن البعير الأب أقلُّ ثمنا من ابنه إذ إن ثمن البعير الابن يزيد على ثمن أبيه بروبيتين)، ولكنك لم تعمل بحسب هذا المثل. (يقول حضرة المصلح الموعود:) ولم أكن عندها أعرف البنجابية كثيرا حتى أفهم ما قاله حضرته. فلما رأى حضرته أمارات الاستغراب على وجهي قال: لعلّك لم تفهم قصدي. إن هذا مثل سائر في بلادنا وبيانه: إن شخصا كان يبيع جملاً ومعه ابن ذلك الجمل أيضا، فلما سأله أحد عن سعرهما قال: الجمل بـــ ٤٠ أما الابن فبـــ ٤٢. فقال له السائل: كيف هذا؟ قال: إن هذا مجرد جمل، أما ذلك فجملٌ وابنُ جملٍ أيضا.

ثم قال لي حضرة الخليفة الأول: كان بين يديك كتابُ "البراهين الأحمدية" الذي كتبه حضرة المسيح الموعود ﵇، في حين لم يكن عند حضرته كتب إسلامية من هذا القبيل عندما ألف كتابه هذا، لذا كان من المأمول منك أن تستفيد من البراهين الأحمدية وتأتي بأفضل منه.

ثم يقول سيدنا المصلح الموعود ﵁: من المستحيل أن يأتي أحدٌ بعلمٍ أفضل من علم المبعوثين من الله تعالى، إلا أنه يمكن للآخرين أن يستخرجوا من كنوز المبعوثين الربانيين الخفية ويقدموها للناس. فكان الخليفة الأول ﵁ يقصد أن مهمة الأجيال القادمة هي أن يرفعوا البناء على الأسس السابقة. (كان حضرة الخليفة الأول مدركًا للوضع الصحي والمستوى العلمي للطفل المصلح الموعود، ومع ذلك كان يحمل هذه الأفكار السامية تجاهه، وهذا يؤكد أنه كان مدركا يقينا أن هذا الطفل يتمتع بكفاءات عالية تمكّنه من كتابة مقالات سامية جدا. ثم يقول حضرة المصلح الموعود): وهذا الأمر إذا وضعتْه أجيالنا القادمة في الحسبان فتستطيع أن تنال البركات والأفضال لنفسها كما يمكن أن تكون سببًا لجلب البركات والأفضال للأمة أيضا. غير أن السعي لاستباق الآباء يجب أن يكون في الحسنات، إذ لا يصح أن يكون ابن السارق سارقا أكبر منه، إنما يجب أن يكون ابن شخص مداوم على الصلوات مثلا أكثرَ حفاظا على الصلوات من والده.

لقد سبق أن ذكرت حادثا عن صحة حضرة المصلح الموعود في طفولته، وهناك حادث آخر بصدد وضعه الصحي ومستواه العلمي. والحق أن هذا الحادث دليل على ما كان يكنّه حضرة المسيح الموعود

عليه السلام وحضرة الخليفة الأول من حب وعطف تجاه حضرة المصلح الموعود، كما أنه دليل على أنهما كان موقنينِ أن هذا الطفل هو الذي سيكون المصلح الموعود. على كل حال، يقول حضرة المصلح الموعود بهذا الصدد: إن حضرة الخليفة الأول رضي الله عنه هو صاحب أكبر منّة عليّ في شأن تعليمي. كان رضي الله عنه طبيبا، فكان يدرك أن صحتي لا تسمح بأن أنظر إلى الكتاب لفترة طويلة، فكان من عادته أن يُجلسني بجنبه ويقول: سأقرأُ أنا وعليك أن تسمع فقط.

(ثم يذكر حضرته تفصيل وضعه الصحي ويقول): وكان سبب ذلك أن عينيّ كانتا مصابتين برمد شديد في الصغر (لقد سبق الحديث عن إصابة عينيه) وكانتا تؤلماني كثيرا واستمر هذا الوضع لمدة ثلاثة أو أربعة أعوام متالية، وقد اشتد بي مرض الرمد هذا حتى خاف علي الأطباء وقالوا أنه يمكن أن يفقد بصره. فبدأ المسيح الموعود عليه السلام بالدعاء لصحتي بتركيز خاص وشرع في الصيام أيضا لهذا الغرض. لا أذكر كم يوما صام حضرته ولكني أظن أنه صام ثلاثة أيام أو سبعة. وفي اليوم الأخير من ذلك الصيام عندما أراد عليه السلام أن يفطر، وهَمّ أن يضع في فمه شيئا فتحتُ عينيّ فجأة وقلتُ: أنا أستطيع أن أبصر الآن.

وعندما أفطر المسيح الموعود عليه السلام فما لبث أن وضع شيئا في فمه إلا وفتحتُ عينيّ فورا وقلتُ: أستطيع أن أنظر الآن. ولكن كانت نتيجة شدة المرض وهجماته المتتالية أنْ ضعف بصري جدًّا في إحدى عينيّ.

ثم ذكر حضرته تفصيل ذلك فقال: فلا أبصر بعيني اليسرى جيدًا؛ أستطيع أن أرى الطريق ولكن لا أستطيع أن أقرأ الكتاب. إذا كان أحد من معارفي جالسا على بُعد بضع أقدام مني أستطيع أن أعرفه، ولكن إذا كان الجالس من غير معارفيّ فأستطيع أن أراه ولكن لا أعرفه. فعيني اليمنى وحدها تعمل ولكنها أيضا أصيبت بالرمد الشديد حتى كنتُ أقضي عدة ليالٍ ساهرا.

هذه كانت حالة صحته، ولكن انظروا إلى أعماله العلمية، كيف أنعم الله تعالى عليه بتأييداته.

على أي حال، يقول حضرته رضي الله عنه: لقد قال المسيح الموعود عليه السلام لأساتذتي عن دراستي: فلتكن دراسته بحسب رغبته هو. فليدرس قدر ما يريد وإن لم يدرس فلا تضغطوا عليه، لأن صحته لا تسمح له بتحمل عبء الدراسة. وكان توجيه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المتكرر لي في الدراسة ينحصر في أن أتعلم ترجمة معاني القرآن الكريم والبخاري من حضرة المولوي أي الخليفة الأول، بالإضافة إلى ذلك قال لي أُدرس قليلا من الطب أيضا فهو ميزة عائلية.

يقول حضرته: باختصار، تمت دراستي في هذه الظروف، وكنت في الحقيقة مضطرا أيضا، لأني كنت أعاني في الطفولة من مرض الكبد أيضا وكنت أتناول لستة أشهر منقوع مجروش الفول ومنقوع أوراق

الخردل، كما ازداد حجم الطحال وظللت لمدة أدلك مكان الطحال بيوديد الزئبق الأحمر red iodide of mercury، كما كنت أدلك به على رقبتي أيضا لأنني كنت أشكو من داء الخنزرة الجلدي أيضا. فإن رمد العين، ومرض الكبد، وازدياد حجم الطحال، ثم الحمى التي كانت تستمر أحيانًا لستة أشهر، إضافة إلى ذلك فإن قول الكبار عني: "فليدرس ما يريد ولا يُفرَض عليه أكثر من ذلك"، ففي ضوء كل هذا يمكن لكل إنسان أن يقدِّر كفاءتي الدراسية.

ذات يوم امتحنني جدّي حضرة مير ناصر نواب ﷺ في اللغة الأردية. أنا ما زلت سيئَ الخط، أما في ذلك الزمن فكان خطي سيئًا جدا لدرجة لا يكاد يُقرأ. فحاول حضرة مير كثيرا و لم يستطع قراءة ما كتبتُه. كان حضرة مير حادَّ الطبع وسريع الغضب، فجاء فورا إلى سيدنا المسيح الموعود ﷺ وكنت أيضا بالمصادفة في البيت، وكنت أخافه سلفا من طبعه الحاد، (وكان جدّ المصلح الموعود) فرفع الشكوى إلى حضرته فخشيت جدا. باختصار قال مير المحترم لحضرته ﷺ: ليس لك أي اهتمام بدراسة محمود، فقد امتحنته في اللغة الأردية، فانظر إلى الورق قليلا، فخطُّه سيئ جدا لدرجة لا يقدر أحد على قراءته. ثم قال لحضرته ﷺ بالثورة نفسها: أنت لا تعيره أي اهتمام وعمْرُ الشاب يضيع.

فحين رأى المسيح الموعود ﷺ مير المحترم ثائرا على هذا النحو، قال له: نادِ المولوي المحترم، (إذ كان من دأبه أنه عندما كان يواجه أي موقف صعب كان يدعو دوما حضرة الخليفة الأول ﷺ)، وكان الخليفة الأول يحبني كثيرا، فجاء ووقف مطأطئ الرأس إلى ناحية كعادته، فقال له حضرته ﷺ: لقد دعوتُك حضرةَ المولوي، لأن مير المحترم يقول: إن خط محمود غير مقروء، فأود امتحانه، وبذلك أَمسَك قلما وكتب سطرين أو ثلاثة أسطر وطلب مني أن أنسخها، فهذا هو الامتحان الذي أخذه مني. فنسختها بتأنّ واهتمام وحذر، فأولا لم تكن العبارة طويلة وثانيا كان المطلوب مني النسخ، والنسخ أسهل لأن الذي أنسخه كان أمامي. فنسخت بحذر وبطء، وكتبت الألف والباء بكل حيطة، فلما رآه المسيح الموعود ﷺ قال: كنت قد قلقت كثيرا تجاه خطّه من كلام مير المحترم، بينما خطه يشبه خطي، وكان الخليفة الأول سلفا يريد أن يؤيدني، فقال لحضرته ﷺ لقد ثار مير المحترم عبثا، وإلا خطه جيد.

هكذا كانت حالتي، فيمكنكم أن تعرفوا ما الذي تعلمته من العلوم الظاهرة في ظروفي المذكورة.

ثم يقول حضرته ﷺ عن كفاءته العلمية: كان الخليفة الأول يقول لي: إن صحتك لا تسمح لك بالقراءة، فعليك أن تأتي إليّ وسأقرأ عليك فتسمع. فألح عليّ ودرّسني القرآن الكريم أولا ثم درّسني البخاري. لم يدرّسني القرآن ببطء بل كان طريقه أنه كان يقرأ القرآن ويترجمه وخلال ذلك إذا رأى

أمرًا بحاجة إلى الشرح فكان يفهّمني إياه وإلا فكان يمرّ بسرعة، وهكذا فقد درّسني ترجمة معاني القرآن خلال ثلاثة أشهر، وبعد ذلك حصل مني الغياب فيه.

بعد وفاة المسيح الموعود عليه السلام قال لي الخليفة الأول: ميانْ، تعلَّم مني البخاري كله. في الحقيقة كنت قد أخبرت الخليفة الأول أن المسيح الموعود عليه السلام كان يقول لي أن أتعلم القرآن الكريم والبخاري من المولوي المحترم، فكنت قد بدأت أتعلم منه القرآن الكريم والبخاري في حياة المسيح الموعود عليه السلام وإن كنت أغيب عن الدرس أحيانا. كما كنت بدأت دراسة الطب منه استجابة لأمر المسيح الموعود عليه السلام.

يقول حضرته رضي الله عنه: درست على يد الخليفة الأول الطب وتفسير القرآن الكريم. لقد أنهى حضرته تفسير القرآن خلال شهرين تقريبًا. كان يُجلسني عنده ويُسمعني ترجمة جزء أو نصف جزء مع تفسير بعض الآيات القليلة. كذلك أكمل تدريس البخاري خلال شهرين أو ثلاثة. ومرةً ألقى حضرته درس القرآن الكريم كاملا في شهر رمضان فاشتركت فيه، كما درست على يده بعض المجلات العربية. باختصار هذه هي علومي كلها.

أما بالنسبة إلى خطابه الأول رضي الله عنه وإعجاب الخليفة الأول به فقد قال المصلح الموعود رضي الله عنه بخصوصه: كان لنا أستاذ رأيته يحضر بانتظام كلما ألقيت الدرس. كما كان لنا أستاذ آخر إذا ألقى درسًا ورآه أستاذي الأول يلقي الدرس في المسجد فلم يكن يجلس ليستمع إليه بحجة أنه ليس من جديد في درسه، فإن جميع الأمور الذي يذكرها مسموعة مسبقا، إلا أنه لحسن ظنّه بي كان يحضر في درسي بانتظام مع أنني كنت تلميذه وكان يقول بأنني أحضر في درسه لأنني أجد فيه بعض المفاهيم الجديدة للآيات القرآنية. وهذا فضل الله تعالى أنه يفتح على البعض في صغرهم علومًا لا تخطر على بال الآخرين.

الحقيقة أن الله تعالى كان يريد أن يجعله مصداقًا لنبوءة المصلح الموعود لذلك فإنه بنفسه كان يعلمه.

على أية حال، يقول حضرته: لقد ألقيت خطابا عاما لأول مرة في عام ١٩٠٧م في هذا المسجد نفسه (غالبًا في المسجد الأقصى)، وكان ذلك في مناسبة الجلسة السنوية وفي حياة المسيح الموعود عليه السلام وقبل سنة من وفاته. فكان ذلك في مناسبة الجلسة حين كان كثير من الناس مجتمعين بمن فيهم الخليفة الأول رضي الله عنه أيضا. تلوتُ الركوع الثاني من سورة لقمان وفسّرتُ آياته.

عندما قمتُ للخطاب –و لم يسبق لي أن ألقيت خطابا– كان عمري يبلغ ١٨ عاما، وكان الخليفة الأول وأعضاء الأنجمن وكثير من الإخوة الآخرين موجودين، فطرأت عليّ حالة أن ساد الظلام أمام عيني و لم أعرف من يجلس أمامي في الجلسة. استمر خطابي إلى نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة. وأذكر أنني

عندما جلستُ بعد الخطاب قام الخليفة الأول ﷺ وقال لي: أهنئك يا ميان المحترم على هذا الخطاب ذي المستوى الرفيع إلى هذه الدرجة، لا أقول مجاملة بل أؤكد لك أن الخطاب كان رائعا حقيقةً.

أقول: لقد كان الله تعالى ملأه ﷺ بعلوم بحيث يشهد تاريخ خلافته الممتدة على ٥٢ عاما بأنه كلما طُلب منه الكتابة أو الخطاب حول موضوع ديني أو دنيوي فقد أجرى حضرته ﷺ أنهار العلم والمعرفة. وقد أثنى المعارضون أيضا على خطاباته في عدة مناسبات على الملأ، وثناؤهم هذا مسجلّ في أوراق التاريخ. وقد نشرت الجرائد أيضا أخبارا بهذا الخصوص. وهذا يبين بجلاء أن نبوءة المسيح الموعود عليه السلام هذه قد تحققت بقوة وعظمة خارقة. إن كتبه وخطاباته ﷺ كنـــز عظيم ويحتوي على آلاف أو ربما على مئات آلاف الصفحات. وهي في طور الترجمة حاليا إلى اللغة الإنجليزية وغيرها، وعلينا أن نستفيد منها حق الاستفادة.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ مبينا أنه هو المصداق لنبوءة "المصلح الموعود":

"إن النبوءة التي كان يُنتظَر تحققها منذ مدة فقد أخبرني الله تعالى عنها بإلهامه وإعلامه أنها قد تحققت في شخصي أنا. وقد أتم الله تعالى الحجة على معاندي الإسلام ووضّح أن الإسلام هو دين الله الحقُّ وأن محمدا ﷺ هو رسول الله الصادق وأن المسيح الموعود عليه السلام هو المبعوث الرباني الصادق. والذين يكذّبون الإسلام ومحمدا رسول الله ﷺ هم كاذبون. وقد هيأ الله تعالى بواسطة هذه النبوءة دليلا حيا على صدق الإسلام وصدق رسول الله ﷺ".

من كان يستطيع أن يُدلي في عام ١٨٨٦م، أي قبل ٥٨ عاما (قد مضى على قوله ﷺ هذا ٥٨ عاما) من عنده خبرا أنه سيولَد له ولدٌ في غضون تسعة أعوام وينمو سريعا ويذيع صيته إلى أقصى أنحاء الأرض، وسينشر دعوة رسول الله ﷺ في العالم كله، وسيُملأ بالعلوم الظاهرية والباطنية وسيكون سببا لإظهار جلال الله تعالى. وسيكون آية لقدرة الله وقربه ورحمته. لا يمكن لأحد أن يُدلي بهذا الخبر من عنده. لقد أعطى الله تعالى هذا الخبر ثم حققه أيضا بحق شخص لم يُظهر الأطباء بشأنه أي أمل أنه سيحيى أو سينال عمرا طويلا.

ثم بيّن ﷺ عن صحته وقال: كانت صحتي في طفولتي معتلة لدرجة قال الدكتور مرزا يعقوب بيك مرة للمسيح الموعود عليه السلام عني: إنه مصاب بمرض السلّ ويجب إرساله إلى منطقة جبلية، فأرسلني المسيح الموعود عليه السلام إلى مدينة "شِملة"، ولكني بدأت أحنّ إلى البيت بعد وصولي إلى هنالك فرجعت إلى البيت عاجلا.

باختصار، الشخص الذي لم تكن صحته جيدة ولا ليوم واحد أبقاه الله تعالى على قيد الحياة ليحقق نبوءاته بواسطته ويثبت للناس صدق الإسلام والأحمدية. وكنتُ شخصا لم يكن حائزا على أي علم من العلوم الظاهرية، ولكن الله تعالى بفضله المحض أرسل الملائكة لتعليمي وأطلعني على مفاهيم القرآن التي لم تكن لتخطر على بال أحد. فوهبني الله علما وانفجرت في صدري ينبوعا روحانية ليست من قبيل الخيال والقياس بل هي قطعية ويقينية بحيث أتحدى العالم كله، وأقول: إذا كان على صفحة الأرض إنسان يدّعي أن الله تعالى علّمه علم القرآن فأنا جاهز لمبارزته كل حين وآن. ولكن لم يستعد أحد للمبارزة. وأنا أعلم جيدا أنه ليس على صفحة الأرض سوايَ إنسان علّمه الله تعالى علم القرآن. لقد وهبني الله تعالى علم القرآن وقد جعلني أستاذَ العالم في العصر الراهن لتعليم القرآن الكريم. لقد أقامني الله تعالى لأوصل دعوة محمد رسول الله ﷺ والإسلام إلى كافة أنحاء العالم، وأهزم جميع الأديان الباطلة هزيمة أبدية أمام الإسلام.

أقول: والحق أنه ﷺ قد أنجز هذه المهمة بحيث نُشرت في عهده تراجم معاني القرآن الكريم إلى لغات أخرى بعدد لا بأس به، ولا تزال هذه المهمة مستمرة. لقد تُرجم القرآن الكريم إلى ١٧ أو ١٨ لغة في حياته، وهكذا وصلت دعوة الإسلام إلى أنحاء العالم في عهده.

يتابع حضرته ﷺ قائلا: فليبذل العالم كل ما في وسعه وليجمع القوى والجمعيات كلها، وليجتمع الملوك النصارى وحكوماتهم، ولتجتمع أوروبا وأميركا والقوى العالمية الثرية والأقوام القوية ولتعتزم على إفشالي في هذه المهمة، فأقول حالفا بالله بأنهم كلهم سيفشلون مقابلي وأن الله تعالى سيقضي على خططهم ومكايدهم كلها مقابل أدعيتي وخططي وسيقيم الله عزة الإسلام ببركة اسم النبي ﷺ بواسطتي أو بواسطة تلاميذي وأتباعي ليُثبت صدق هذه النبوءة، ولن يترك العالم ما لم يتوطد الإسلام في العالم مجددا بكل قوته وعظمته وما لم يُقبل سيدنا محمد رسول الله ﷺ نبيا حيا في العالم من جديد.

إذن، لقد تحققت هذه النبوءة، وقد قضى سيدنا المصلح الموعود ﷺ عهده، وإن كلمات النبوءة المذكورة لا تزال باقية وثابتة وستبقى باقية وثابتة إلى أن تتحقق مهمة المسيح الموعود عليه السلام وإلى أن ترفرف راية الإسلام في العالم كله. فعلينا أن نتذكر أنه لا فائدة من ذكر هذه النبوءة أو عقد الجلسات حولها إن لم نضع أمام أعيننا هدفا أن علينا أن نوطد دعائم عزة رسول الله ﷺ وعظمته في العالم، وأن نكشف للعالم صدق الإسلام ونجمع العالم تحت راية النبي ﷺ. لا يمكن أن ترفرف اليوم راية الإسلام من جديد إلا بواسطة المؤمنين بالمسيح الموعود عليه السلام. ندعو الله تعالى أن يوفقنا لذلك.